نافذة

الله... والسر الآلهي...!

الله.. تبارك في علاه المعنوي والرمزي لا المكاني، فهو الذي لا يحيطه وصف، ولا يتم تجسيده، ويتجلى في روح المؤمن لا في بصره، في روح المؤمن المطلق بالناموس وليس المؤمن بدين محدد، تجلى لكل مؤمن أحبه، وفتح روحه وجسده وفكره لاستقبال خير الألوهة وفيضها! الله.. كثيراً ما يسأل واحد الآخر أسئلة عادية، ثم يتبعها بسؤال صعب وغبي هل أنت مؤمن؟ مؤمن بماذا؟ إذا كان أحدنا يعترض على تصرف رجل من رجال الدين يسأله آخر هل أنت مؤمن؟ يحملق به، وذاك يتابع: بما أنك هكذا فإنك غير مؤمن! وإن تعرض واحد لتفسير ظاهرة بالقبول أو الرفض اتهم بإيمانه، ونعت بأنه لا يعرف الله! وإن لم يكن منحنياً على يد الكبير لتقبيلها فهو ينكر الإيمان ووجود الله! وهو إن أحب وعشق فهو لا يعرف الله!

أسمع كثيراً من الناس حولي حول الله والألوهة، ومفهوم الألوهة، وجميعنا ينظر إلى الأعلى باتجاه الغلاف الجوي، لأنه انغرس داخله أن الله يسكن هناك في السماء، في الأعلى، وهو بذلك يقزّم مفهوم الألوهة التي لا يحيط بها فهم أو مكان أو زمان، ووفق عدم الإحاطة فإن مفهوم الألوهة في أرواحنا وعقولنا، ومن المفترض أن ننظر إلى داخلنا لا إلى مكان آخر! ولو فعلنا، ونظرنا كما يجب ما أخطأ أحدنا في حق نفسه أولاً وفي حق الآخر، ولعرف الواحد أن الألوهة التي تتجسد فيه يجب أن تكون طاهرة حقاً، فلا يرتكب خطأ حتى لا يدنس هذا المفهوم الأعلى السامي الذي يريده إنساناً حقيقياً، يسير معه حيث يشاء، يراقب خطواته، يساعده على النجاح، يعتب عليه على التبعية والانصياع، يهلل له في حالة الحب وانعقاد أواصر الطهر، فالله حب ومحبة..!

لو عاد أحدنا إلى كل المدونات التي نراها سماوية، والتي نصنفها غير سماوية، من آدم إلى اليوم، ومن حمورابي إلى كل الأنبياء، وصولاً إلى كونفوشيوس وزرادشت وبوذا وكل المصلحين والدعاة والمشرعين فسنجد أن مفهوم الألوهة واحد، وهو العظمة والتنزيه والبعد عن الدنايا والحب. وما دام الأمر كذلك فلمَ تعددت الشرائع، وتعدد الدعاة، ألأننا من الصعب أن نفهمَ؟ ألأننا دوماً بحاجة إلى مثال وتذكير؟ ألأننا، وخاصة في أمة الشرق ننسى الألوهة وننساق وراء رغباتنا وأهوائنا، فيأتي رسول أو داع ليعيدنا إلى الجادة الصواب؟ ومن ثم نقوم بتصدير هذه الآراء إلى أماكن أخرى، يراها كثيرون أماكن كفر وضلال وتحتاج الهداية على أيدينا!

هل تستطيع أن تصدق أن الإنسان الصادق الذي لا يكذب أعز وأغلى عند الله من صاحب العقيدة؟ إن صدقت فأنت مؤمن حقاً، فالله صدق، والصادق إن كان برسالة أو بغير رسالة هو أهم من أي مخلوق، وما من عبث كانت الصفة الأولى التي لازمت النبي محمداً الصادق الأمين.

هل تستطيع أن تقتنع أن العابد مهما كان شكله وهيئته أكرم عند الله من نيوتن أو أينشتاين أو أديسون؟ إن صدقت فأنت أصبت بلوثة، وبقصر فهم حتى للنص الذي تؤمن به وتردده في صلواتك، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ لا... لا يستوون.

هل يمكن أن تصدق أن الله في سمائه المكانية يراقب عبده، ويطرب لعبادته (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ويسعد بمن يجلس في مسجد أو كنيسة أو كنيس أو صومعة ليتعبد؟ وفي الوقت نفسه لا ينظر إلى ذلك الذي يجلس في مخبره ليصنع دواء لمرض، أو ذاك الذي يصنع طائرة أو يطورها؟ هل يتبادر إلى ذهنك أن من يصنع الدواء يعارض مشيئة الله (وإذا مرضت فهو يشفين)؟ وهل يعارض الألوهة من يطور طائرة لأن المشيئة جعلت (وكل في فلك يسبحون)؟ كما يقزم مفهوم الألوهة من يصنع إطاراً مكانياً أينما كان للإله، كذلك يقزم المفهوم من يرى أن العبادة تتلخص في صلاة وصوم وزواج وإنجاب ووو... ولأنه الله الذي لا يدرك كان مفهوم العبادة غير محدد وغير معروف، ولكنني أجرؤ أن أقول بأن الكسالى عندما تسلطوا، والجهلاء عندما تسيدوا فرضوا فهماً خاصاً بالعبادة لحصر الأمور فيهم، والفتوى فيهم، مع أنه ما من حجاب بينك وبين الله، ولا تحتاج إلى فتوى وغفران، لكنها مصلحة امتهنها هؤلاء ليعيشوا منها، وبما أنهم هكذا ليس بإمكانهم أن يهيمنوا إلا إذا بسطوا مفهوم العبادة، ولو عارضوا النصوص المقدسة لديهم وجدوا أن العمل خير من العبادة عند الله، وأن العامل أعلى مرتبة من العابد.

هذه الهيمنة التي انتشرت في كل مكان ومجال حصرت مفهوم الألوهة بالرقابة والحساب، فأين الحب؟! فهو- تخيل- خلقك، وخلق معك مخبرين يتابعونك ويراقبونك ليسجلوا عليك! هل هو بحاجة لمن يسجل عليك، وهو من خلقك وسيميتك؟ تصوروا مفهوم الألوهة الذي فصله كل أناس على مقاسهم وحسب حاجاتهم، هو خالق وهو مراقب ومحاسب، والويل لك إن حدت عن طريق لا يعجب الرقيبين!! مجرد أن نسأل عن العلة والسبب فإننا سنصل إلى فهم أعمق، ودور الألوهة العظيمة لا ينحاز إلى شريعة أو دين! ولا يفضل أحداً على أحد إلا في ظروف وحالات، ولو نظرنا إلى هذه الحالات سنجدها كلها بلا استثناء لها علاقة بالعقل والعمل والعلم، وكلها حاجات دنيوية لسعادة البشرية، وسعادة الآخر، أليس هذا من مفهومات الجنة؟!

ما جدوى أن يأتي أحدهم إلى الدنيا لينزرع على كرسي في كنيسة أو على سجادة في مسجد من دون أن يفعل شيئاً؟ ماذا يقدم من فوائد لخدمة الآخرين ومفهوم الألوهة؟!

تحدث كثيرون حتى من رجال الدين والعلماء، لكن من الرجال والعلماء الحقيقيين عن مفهوم الألوهة، لكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نتيجة مع العامة، ومع جمهرة المنتفعين من الوضع القائم لمفهوم الدين والألوهة!

هل يأتي بنا الله، وطول حياتنا يراقبنا ويسجل أخطاءنا، ليثيبنا بجنة أو نار في الآخرة، ليعطينا من جنس ما نعرف وإن اختلفت الصفات؟! نساء لكن لسن كالنساء! خمر ليس كالخمر ولا يسكر! وطعام وشراب وقضايا لم نسمع بها! ودرجات للنار، وشيّ للأجساد، وصهر للأدمغة، وفضح للأسرار وما شابه ذلك!

أظن أن قمة الإيمان، والمرتبة العليا منه أن تجلّ الخالق عن هذه المواصفات، فجلت الألوهة عن أن تنحصر في إعداد عالم من الطعام والشراب والمتعة لمن أطاع وسجد وصلى وصام وتعبد وزهد! مفهوم الألوهة لا ينكره أحد، حتى عند الملحدين هناك فهم للألوهة، لكنه أيضاً من صنعهم واختراعهم كما رجال الدين والعلماء.. لكن المفروض بنا أن نترفع أكثر في إيماننا وقراءتنا للناموس والألوهة التي لم تأت بالإنسان إلى الحياة عبثاً، ولم تأت به لتحرمه ومن ثم لتثيبه من جنس ما حرمته منه!

بعد قرون وقرون أنظر وينظر الجميع ليروا ما لا يمكن تخيله، وهنا نأتي إلى صلب الألوهة وسرّ الألوهة، والإيمان وسرّ الإيمان، فتتنافس العلم والإيمان بالعلم والألوهة هو الميدان، ولا يمكن الوصول إلى الغاية المطلقة بالسعادة الإنسانية إلا بالعلم، والعلم التجريبي، وإلى جانبه علوم الإنسان، وهذا الجزء من العالم الذي نعيشه لم يستطع خلال القرون المتطاولة أن يخرج من قوقعته وفهمه، ولا يزال واحدنا يعود مرات إلى بيت الخلاء ليتأكد من دخوله بالقدم اليسرى أم اليمنى! ولا يزال أحدنا يسأل إن كان الحمام الكامل يغني عن الوضوء الجزئي أم لا! يسأل والعالم يصعد سنوات ضوئية في الميدان العلمي!

هل أومن بالمؤامرة لأقول إن فهمنا للألوهة زرع منذ البدايات بهذه الطريقة لنبقى أمة غير مؤمنة بالدرجة الأولى، وغير متحضرة بالنتيجة؟

إسماعيل مروة

كتاب: أمراؤنا الأعزاء جداً هل هم أصدقاؤنا حقاً؟

كيف تمول دول الخليج الإرهاب.. ودول المال في شراء الغرب؟

سوسن صيداوي

«إن الخطيئة التاريخية الكبرى التي ندفع ثمنها اليوم تكمن في الدعم الغربي للمملكة السعودية، إن هؤلاء الناس ليسوا أصدقاء لنا، إنما هم نبع السمّ» هذه الجملة التي رددها جهرا الكاتب سليمان رشدي وهو من جملة المفكرين الذين يحققون في قضايا المملكة الوهابية. العبارة وردت في مقدمة كتاب «أمراؤنا الأعزاء جداً هل هم أصدقاؤنا حقا» الصادر عن وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ترجمة الدكتور منصور نجم حذيفي، بواقع ثلاث مئة صفحة تسلط الضوء على ما يعانيه الشرق الأوسط من دعم للإرهاب وكيف المملكة العربية السعودية وقطر هما الممول له.

الكتاب من تأليف كريستيان شيسنو وجورج مالبرينو اللذين سعيا من خلال تحقيقهما إلى الإجابة على يطرحه الرأي العام الفرنسي من أسئلة: هل تمولّ كل من السعودية وقطر فعلاً داعش ومجموعات إرهابية أخرى؟. ما دورهما في نشر الأفكار السلفية في أوساطنا؟. وما ماهية العلاقات التي تربطهما بإسلام فرنسا؟. هل يجب إعادة النظر بتحالفاتنا مع هذين البلدين، كما يطلب ذلك بعض المسؤولين؟.

أراد المؤلفان من بحثهما تسليط الضوء بعيداً عن الخلط والتكرار المجوج على الفروقات المهمة بين هذه المملكات. ومن الواجب فضح لعبهم على الحبال في بعض الملفات، أما في ملفات أخرى يقيمون فيها علاقات متينة مع بعض رجال السياسة الفرنسيين، فإنه لا يمكن إلقاء اللوم عليهم وحدهم. متابعين بأن بحثهما قادهما إلى السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والكويت. وفي باريس اطلعا على وثائق رسمية وبرقيات دبلوماسية ومذكرات لوزارة المالية والخزانة بشكل خاص. قام المؤلفان ومن دون أي انحياز بدخول كواليس العلاقة بين فرنسا وهذه البلدان وهي علاقة قديمة ومعقدة، لكنها ملوثة منذ عقود بهذا المال المتدفق.

تورط ساركوزي في السعودية

عن الكلام في التأليف، الفرنسيون تعوزهم البراعة أحياناً في التعامل في سوق الخليج. «لكن السعوديين يعبرون في معظم الأحيان عن عقوق، هذا ما أسف له شاهد مطلّع من كثب على مجريات الأمور، وذلك كل ما قدمناه لهم من عرابين المحبة المتعددة». أضاف هذا الشاهد الذي ركز بشكل خاص على فترة رئاسة نيكولا ساركوزي ما بين ٢٠٠٧-٢٠١٢، التي قام خلالها بما لا يقل عن ثلاث زيارات للمملكة العربية السعودية. بعد رفض الحليف الأميركي للطلب السعودي عندما عبّرت السعودية عن حاجتها لصور من الأقمار الصناعية لتحديد الأهداف التي ستقوم بضربها داخل اليمن. استدارت السعودية تجاه باريس، حيث استجاب ساركوزي للطلب السعودي. أدلى عسكري فرنسي، شاهد على المساعدة التي تقدمها فرنسا للسعودية، بشهادته قائلاً «تم تنفيذ طلعات لطيران استطلاع لمواقع الحوثيين مخالفة للقانون الدولي وذلك بواسطة طائرات حربية تقلع من الإمارات العربية المتحدة أو من فرنسا». لكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، فلقد ذهبت فرنسا بدعمها للحرب السعودية على الحوثيين أبعد من ذلك، وبحسب صناعي فرنسي«احتاج السعوديون، عام ٢٠٠٩ إلى ما يسمى الجواذب، أي معدات للطائرات المطاردة كي تستطيع توجيه ضرباتها على الأهداف، وهي عبارة عن أجهزة إرسال يقوم عملاء متسللون بوضعها على أرض العدو. إن من يعطي الأمر بتقديم هذه المعدات المتطورة جداً هو رئيس الجمهورية، وقد أجاب ساركوزي فوراً بالإيجاب للطلب السعودي. استأجر السعوديون عدداً من اليمنيين للقيام بعملية نصب أجهزة الإرسال التي تم تقديمها بعد الضوء الأخضر الذي أعطاه ساركوزي، فأعطت المساعدة الفرنسية أُكُلها في مواجهة المتمردين اليمنيين».

التنوع الجغرافي للتمويل السعودي للجوامع في فرنسا

أكد السفير السعودي في باريس خالد الأنكاري، خلال استجوابه أمام لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي أن بلاده مولت رسمياً ثمانية جوامع على الأراضي الفرنسية. وبيّن أن المساعدات السعودية «تراوحت ما بين مئتي ألف وتسعمئة ألف يورو لكل مشروع» وهكذا بلغ المجموع الإجمالي للمبالغ التي دفعتها السعودية حتى عام ٢٠١١ حوالى ثلاثة ملايين وثمانمئة ألف يورو. خلافاً للفكرة الشائعة لم تقم السعودية أبدا بإرسال أي إمام لتعليم الدين في الجوامع التي قامت بإنشائها في فرنسا، اللهم ما عدا شهر رمضان حيث يتم دعوة عدد من قارئي القرآن رسمياً. هناك العديد من الجوامع في فرنسا، مُولت من الصناديق الخاصة السعودية، فجامع ليون قد بني من خزينة الملك فهد الخاصة. وهناك جوامع قام بتمويلها رجال أعمال كما هي الحال في جامع مدينة ديجون. هنا حطّنا الجمّال، حيث نلامس لبّ المشكلة:إن نسخة الإسلام التي تسعى السعودية لنشرها غير متسقة مع المنظومة القيمية للجمهورية، وينظر إليها بأنها متطرفة، لا بل متعصبة(طائفية) من كثير من المسلمين، على حين أن السعودية تعتبرها تجسيدا للإسلام الأصلي والحقيقي طبقا للأصول.

هل يموّل الأمراء الإرهاب؟

«آن الأوان لأن يقوم السعوديون، والقطريون، والكويتيون، والآخرون بمنع مواطنيهم من تمويل المنظمات المتطرفة»؛ هذا ما أعلنته مرشحة الديمقراطيين للرئاسة الأميركية هيلاري كلينتون، وذلك بعد ساعات قليلة من مجزرة أورلاندو التي أوقعت تسعة وأربعين قتيلا في الثاني عشر من حزيران٢٠١٦، قام بتنفيذها شخص من أصل أفغاني أعلن ولاءه للدولة الإسلامية في ملهى ليلي للمثليين. أضافت وزيرة الخارجية الأميركية السابقة إنه «يجب أن يتوقف هؤلاء عن دعمهم للمدارس والمساجد المتطرفة التي تسبّبت بوضع العديد من الشبان على سكة التطرف في جميع أنحاء العالم». إن السيدة كلينتون في وضع يمكنها من معرفة الأشياء على حقيقتها، لذلك أدانت في برقية دبلوماسية لها عام ٢٠٠٩ ما سمته «التعاون السيئ جداً» لقطر في محاربة تمويل الإرهاب.

الكويت مركز لتمويل الجهاد

«الكويت أصبحت مركزا لجمع المال لمصلحة المجموعات الإرهابية في سورية» هذا ما حذر منه، منذ نيسان ٢٠١٤، نائب وزير المالية الأميركي دافيد كوهين. يتصدر هؤلاء المولين ثلاثة أساتذة في قسم الشريعة بجامعة الكويت هم «البروفسور حامد العلي، حجاج العجمي، شافي العجمي، ورجل الأعمال حكيم المطيري. تم جمع الأموال في الكويت إما نقداً أثناء انعقاد الديوانيات وإما مباشرة على حسابات مصرفية عبر أرقام الواتس آب على الإنترنت التي أفلتت من رقابة أجهزة الأمن. لم تكن السلطات الكويتية لتمارس أي رقابة على مموّلي الجهاد، وذلك حتى بداية عام ٢٠١٣حيث وتحت ضغط الأميركيين انتفضت القيادة الكويتية وعلى رأسها أميرها الشيخ صباح. «أما عن ردة الفعل الأميركية، فقد عبرت وزيرة الخارجية الأميركية عن ارتياحها للإجراءات التي اتخذتها الحكومة الكويتية في مراقبة وضبط جمع الأموال من المنظمات الخيرية، بما في ذلك مراقبة نقل هذه الأموال إلى مستفيدين دوليين، وضبط الهبات عبر الانترنت». اكتفت السلطات الكويتية باتخاذ أنصاف الحلول. بالتأكيد فرضت السلطات الكويتية في آذار عام ٢٠١٥ منع مغادرة للأراضي الكويتية بحق شخصين من تابعية أجنبية وجمدت ممتلكاتهم. لكن في المقابل لم تتخذ السلطات الكويتية أي إجراء بحق شخص ثالث من الجنسية الكويتية اسمه مدرج على القائمة السوداء للأمم المتحدة كممول لجبهة النصرة. «ويعترف أحد المسؤولين الكويتيين بأنه من الصعب فعل أكثر من ذلك، لأن هؤلاء الأشخاص متجذرون في قلب المؤسسة، ويسيطر الإسلاميون على وزارتي التربية والنفط، إضافة إلى كون العديد من المولين ينتمون إلى صفوف المعارضة، وإذا ما واجهناهم فيجب توقع عقابيل خطرة».

> اشترى أمراء الخليج خلال عقود خلت السلام الاجتماعي بأموالهم الطائلة من البترودولار والغاز

البدو مصابون بالفصام في بلاد الله

لم تهب رياح الربيع العربي فوق شبه الجزيرة العربية، باستثناء البحرين واليمن. لقد اشترى أمراء الخليج خلال عقود خلت السلام الاجتماعي بأموالهم الطائلة من البترودولار والغاز. استجوب وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه السفير الفرنسي في الرياض برتران بوزاستنو، خلال محاضرة كان هذا الأخير يلقيها في معهد العالم العربي بباريس بشهر نيسان٢٠١١، متسائلاً: «متى سيحصل الربيع العربي في العربية السعودية؟» وكان جواب الدبلوماسي: «سيدي الوزير، لماذا تود أن يكون هناك ربيع في بلد صيفها دائم؟». ما يجعل هذه المجتمعات متماسكة عبر عوامل ثلاثة وهي البترودولار والعشائر والإسلام، وتساهم هذه العوامل في تأمين الاستقرار السياسي والاجتماعي.

مجرمو الصحراء

وجاء في الكتاب أن السعودية هي بلد الإحباطات والممنوعات، يسود فيها الرياء وتجري الأمور بالخفاء خوفاً من الأغلال الوهابية. فالمسافة شاسعة جداً بين الأخلاق الدينية المفروضة على عامة الشعب في المملكة وبين سلوك الأمراء، وبالنسبة لتهريب الكحول يتابع المؤلفان هي تجارة مربحة جدا، تباع زجاجة الويسكي في السعودية بعشرة أضعاف ثمنها: فمثلاً ثمن زجاجة الويسكي عند شرائها يكون ثلاثين يورو، تباع في المملكة بثلاثمئة يورو. وذلك مع أن القرآن الكريم لا يمنع بيع الكحول إنما يمنع الثمالة، لأنه في عهد الرسول الكريم كان يُصنع الخمر من النخيل في مكة، لكن التفسير الوهابي هو الذي منع اقتناء واستهلاك الخمر. يطلق الأمراء العنان لأنفسهم في فناءات قصورهم بشتى الاحتفالات، ويصف القنصل الأميركي إحدى تلك الليالي الملاح التي حضرها في جدة، بأنها ليلة من الليالي الحمراء التي يتخللها «الجنس والمخدرات والروك أندرول». توضح سجلات الجمارك في المطارات السعودية أن عقوبة أي شخص يضبط معه مخدرات هي الإعدام. لكن لم تمنع هذه التحذيرات بعض أمراء المملكة من أن يكونوا مهربين!.

تجدر الإشارة

الكتاب مازال غنياً بالكثير من المواضيع والعناوين التي تلخص ما يدور في عمق المملكة السعودية، وما تحيكه في سياساتها الداخلية والخارجية إضافة إلى اقتصادها، نحن سلّطنا الضوء على بضع نقاط، والبقية تأتي بمتابعتكم لها عبر قراءة الكتاب.

دراسة تحليلية لقصيدة بورخيس

الغرض الرئيس للقصيدة هو محاولة الشاعر تقديم مفهومه عن الشعر ورؤيته لخصائصه ووظيفته

سارة سلامة

صدر عن وزارة الثقافة- الهيئة السورية للكتاب دراسة تحليلية لقصيدة بورخيس «فن الشعر» بعنوان «الأبدية الخضراء»، تأليف الدكتور نزار بريك هنيدي، حيث يسلط الضوء على الشاعر الأرجنتيني بورخيس الذي أفنى حياته ليشق طريق الإبداع بعد اطلاعه على مخيلات الفنانين والشعراء والفلاسفة والعلماء ليقدم ما لم يتمكن غيره من تقديمه، وذلك بالاعتماد على عدد من الكتب المترجمة عن شعر بورخيس وحياته.

ويركز هنيدي على تحولات حياة الشاعر الثقافية بشكل موسع إضافة إلى حياته الصحية والاجتماعية ثم يحلل نص القصيدة مرتكزاً على رؤيته للشعر من خلال موهبته وتجربته وتجربة الآخرين أيضاً، لطالما تناول الشاعر الشعر في كتبه ومحاضراته المتعددة وقال في إحدى محاضراته «أمضيت حياتي وأنا أقرأ وأحلل وأكتب أو أحاول أن أكتب واستمتع وقد اكتشفت أن هذا الأمر الأخير هو الأهم».

متفوقاً على علماء الفلك

ومما جاء في مقدمة الكتاب: (إننا نعرف ما الشعر. نعرف ذلك جيداً إلى حدّ لا نستطيع معه تعريفه بكلمات أخرى)، لذلك عندما حاول (بورخيس) مقاربة (فن الشعر) قام بتحويله إلى موضوع شعري لقصيدة، وبالرغم من أن الغاية من دراستها هي محاولة الوقوف على ملامح نظرية الشعر عنده، إلا أن كلّ كلمة أو صورة أو فكرة فيها تدفع إلى الخوض مجدداً في (المتاهات) التي تعجّ بها نصوصه، مما يجعل من تحليلها رحلة في عالمه الإبداعي والفكري في مجمله).

في معرض حديثه عن (لغز الشعر) قال خورخي لويس بورخيس: (كلما تصفّحت كتاباً في علم الجمال، راودني إحساس مقلق بأنني إنما أقرأ أعمالاً لفلكيين لم ينظروا إلى النجوم قط). ولا شك في أنه أراد بقوله هذا أن يؤكد ما سبق أن قاله الشاعر الأميركي أرشبالد ماكليش، في كتابه المشهور (الشعر والتجربة): (والمرء في ميدان الشعر بحاجة إلى رائد ثقة، رجل رأى واستبان ثم عاد، ولن يكون هذا الرائد إلا شاعراً، أما النقاد فهم كمن يضع خرائط لجبال العالم الذي يرودونه، غير أنهم هم أنفسهم لم يتسلّقوا تلك الجبال قط).

ذلك أن الشاعر هو من نذر عمره كله ليتسلق جبال الإبداع، بعد أن ملأ جعبته بكل ما اجترحته مخيلات الفنانين والشعراء، وما أنجزته عقول الفلاسفة والعلماء، ليصل إلى أقصى نقطة استطاعت البشرية الوصول إليها، ومن ثم يطلّ منها على ما يرخم وراءها، من خفايا وأسرار.

والشاعر هو من منحته الطبيعة الملكات والقدرات التي تتيح له أن يتجاوز بحدسه حدود الحواس الطبيعية التي يمتلكها الإنسان العادي، ويتخطى برؤيته ظواهر الموجودات، ويتغلغل إلى أعماق أسرار الكون والحياة، مما يجعله متفوقاً على علماء الفلك جميعهم، في القدرة على سماع همسات النجوم، والتقاط إشارات الكواكب، وتلقي رسائلها الضوئية المشحونة بالمعاني والرموز.

(ولا يقلّ الشعر غموضاً عن عناصر الكون الأخرى)، كما يقول بورخيس في مقدمته لديوانه (مديح الظل) الذي أصدره في السبعين من عمره، ويمثله في أوج نضوجه.

وما دام الأمر كذلك، فإن أحداً لن يستطيع أن يعرّف لنا الشعر، أكثر من الشعراء أنفسهم.

إلا أن بورخيس يؤكد لنا أننا نقترف خطأً شائعاً جداً عندما نظن أننا نجهل شيئاً لأننا غير قادرين على تعريفه! بل إنه يستعير كلمات (تشيسترتوني) ليقول: (إننا لا نستطيع تعريف شيء إلا عندما لا نعرف أي شيء عنه) مما يعني أننا نعرف ما الشعر، نعرف ذلك جيداً إلى حدّ لا نستطيع معه تعريفه بكلمات أخرى.

فن الشعر

أصبح من المألوف في الدراسات الحديثة، أن تبدأ مقاربة النص الأدبي من (العنوان) الذي يحمله، فالعنوان هو العتبة النصية الأولى التي تواجه المتلقي وتتحكم بطريقة تفاعله مع النص وتوجّهه نحو احتمالات معيّنة لتأويل محتوياته وربطها بما تختزنه الذاكرة من نصوص وتجارب سابقة، وفتحها على آفاق المعاني التي تشعّ لتشكّل الرؤيا العامة للنص الشعري.

ومن ثم فإن عنوان (فن الشعر) الذي اختاره بورخيس لقصيدته يستفزّ القارئ منذ الوهلة الأولى، لأنه من غير المألوف أن تحمل قصيدة مثل هذا العنوان، الذي يحيل أول ما يحيل إلى كتاب (فن الشعر) لأرسطو، فعنوان كهذا يصلح لمبحث فلسفي أو دراسة في علم الجمال أو النقد الأدبي، أكثر بكثير من أن يكون واسماً لقصيدة شعرية.

وهكذا فإن على القارئ أن يستخلص مباشرة، أن الغرض الرئيس للقصيدة هو محاولة الشاعر تقديم مفهومه عن الشعر ورؤيته لخصائصه ووظيفته، ولكنه لن يتوسّل إلى ذلك الوسائل النظرية والفكرية التي يستخدمها الفلاسفة والمنظّرون والنقاد، لأن تلك الوسائل بقيت عاجزة عن الاقتراب من ذلك المفهوم على الرغم من بحار الحبر التي أريقت منذ أرسطو إلى اليوم، وإنما سيلجأ إلى وسائل التعبير الشعرية، ومن إيحاء وتخييل وتناصّ وتحريض للذاكرة واستنفار للأحاسيس والمشاعر، وشحن للمفردات والجمل لتتمكن من قول ما تعجز عن قوله في حالتها النثرية.

ومن ثم، فإن على القارئ أن يوجه أجهزة الاستقبال والتبقي عنده، باتجاه تأويل ما يتضمنه النص من مكونات وإيحاءات وتناصّات، بما يمنحه القدرة على تلمّس ما يريد الشاعر توصيله حول مواقفه وآرائه فيما يتعلق بـ(فن الشعر) بالتحديد، ولاسيما أن القارئ سيستدعي إلى ذاكرته مجموعة من القصائد التي كتبها شعراء آخرون ليعرضوا فيها مذاهبهم ورؤاهم الفنية، تحت العنوان نفسه (فن الشعر)، منذ الشاعر الروماني (هوارس)، وحتى اليوم.

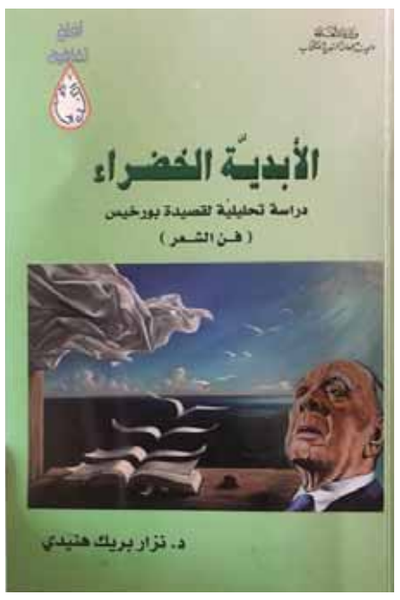

> بورخيس نذر عمره ليتسلق جبال الإبداع.. بعد أن ملأ جعبته بكل ما اجترحته مخيلات الفنانين والشعراء

لم يستخدم الشعر الحر

وبالرغم من صعوبة الموضوع الذي تدور حوله القصيدة، وبالرغم من أننا اعتدنا أن يكون غرضاً للسجالات النظرية الفكرية ذات اللغة النثرية، أكثر من أن يكون غرضاً لقصيدة، فإن بورخيس لم يستخدم شكل الشعر الحر، ولم يهرب من القواعد الفنية، بل قام ببناء قصيدته بشكل منتظم متقن، فجعلها تتألف من سبعة مقاطع متساوية، في كل مقطع أربعة سطور أو أبيات.

يبدأ بورخيس قصيدته بالمقطع التالي:

(نحدّق في نهر من الوقت والماء
ذاكرين أن الوقت نهر آخر.
نعرف أننا شاردون كالنهر
وأوجهنا تتلاشى كماء)

فأن تكون شاعراً، يعني أن تتأمل النهر الذي لا يكفّ عن الجريان، ويطابق الشاعر بين نهر الماء في الطبيعة، ونهر الوقت الذي يتدفق فيه الزمن، فالزمن يتدفق أيضاً، وحين يتأمل الشاعر نهر الزمن المتدفق، فإنما يتأمل سيرورة الوجود بأسره، ومصير الإنسانية جمعاء.

كما أن بورخيس نفسه يستحضر في إحدى محاضراته عنوان رواية توماس وولف «عن الزمن والنهر» التي طبعت أول مرة عام ١٩٣٥، مما قد يشير إلى أن بورخيس رسم صورته بفعل ما ولدته تلك الرواية في ذهنه من إيحاءات، فهو يقول عنها: (إن مجرد اتحاد الكلمتين يوحي بالاستعارة: الزمن والنهر، كلاهما يتدفق وهناك حكمة الفيلسوف اليوناني المشهورة: لا أحد ينزل مرتين إلى النهر نفسه، هنا نجد بصيص رعب، لأننا نفكر أولاً في تدفق النهر، في قطرات الماء كأنائن مختلف، وبعد ذلك ننتبه فجأة إلى أننا نحن النهر، وأننا لا نقل عن النهر تفلتاً وهروباً).

والرعب الذي يذكره بورخيس في المقبوس السابق، هو النتيجة المحتمة لكوننا (نعرف أننا شاردون كالنهر، وأوجهنا تتلاشى كماء) كما يقول في السطرين الأخيرين من هذا المقطع من القصيدة، وهو الرعب نفسه الذي ينضح من قصيدة الشاعر الإسباني (خورخي مانريكي) التي يقول فيها:

(حيواتنا هي الأنهار
التي تجري لتصب في البحر
الذي هو الموت.
إلى هناك تمضي الأبهة الأرضية،
مباشرة إلى الانتهاء والنفاد..)

فوجودنا في هذا الكون، محكوم بتلك القوانين الغامضة، التي لا نعرف منها غير نتائجها، التي تجعلنا حيارى ضائعين شاردين، وتفضي بنا، في النهاية، إلى مصير واحد، هو تلاشي الأحلام، ونفاد القوى، والرحيل إلى حيث يمضي كل ما على الأرض.. إلى الموت.

وهكذا يصبح واضحاً أن بورخيس أراد أن يقول في مستهلّ قصيدته: إن الشاعر الحقيقي هو من يتأمل العلاقة الأزلية القائمة بين الوجود الإنساني وأسرار الكون.

ويحاول مقاربة الأسئلة الكبرى التي ما فتئت البشرية تطرحها منذ أن وعت وجودها في هذا العالم، عن الأصل الذي جاءت منه، والغاية من وجودها، والمآل الذي سيؤول إليه مصيرها.

ويذكر أن نزار بريك هنيدي هو شاعر وناقد سوري له ثماني مجموعات شعرية إضافة إلى كتبه في النقد الأدبي النظري والتطبيقي وعضو اتحاد الكتاب العرب.